الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ الدكتور: فتحي بوخالفة

محاضرات مقياس السرديات العربية الحديثة والمعاصرة

[Sous-titre du document]

هذه محاضرات مقياس السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، بمختلف محاورها، وفق مقرر وزارة التعليم والعالي والبحث العلمي. وهي موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس ، تخصص دراسات أدبية.

MAISON XP
[Choisir la date]

المحاضرة الأولى

السرديات العربية الحديثة والمعاصرة–تحديد المصطلح–

يمثل تحديد المصطلح مطلبا أساسيا وهاما للبحث العلمي، كما يمثل ضرورة معرفية تقتضي الوقوف على طبيعة الظاهرة المدروسة، بغرض تحديد ماهيتها وخصائصها الأساسية. وإذ يعمد الباحث لتحديد المصطلح، فإنه بذلك يسعى لتبيين ماهية الظاهرة التي يشتغل عليها، خصوصا أن تحديد المصطلح يمثل ، اهتماما أساسيا تقتضيه الدواعي الذاتية والموضوعية، باعتباره الأساس الطبيعي للأطر الأساسية التي يستند إليها البحث العلمي، المنضبط، والمحدد لأهدافه الأساسية.

وللتوصل إلى جملة الأهداف الأساسية، التي تتماشى مع طبيعة الموضوع الذي هو قيد الاهتمام، لابد من الانطلاق من تحديد طبيعة عنوان المقياس في حد ذاته" السرديات العربية الحديثة والمعاصرة"، من حيث تحديد مفاهيمه، وضبط دلالاته المعرفية المختلفة، والتي تمكن من التوصل إلى المعالم الكبرى التي تنبني عليها محاور المقياس، والأطر المعرفية المحددة لخصائصه الدلالية.

يلاحظ من العنوان أن المقياس ذو دلالتين أساسيتين، الأولى مضمونية والثانية زمنية. تتعلق الدلالة المضمونية بتخصص المقياس ضمن ظاهرة السرد العربي، من حيث كونه ظاهرة معرفية مختصة، بنظام اللغة العربية الذي أبدع المزيد والمزيد من المدونات السردية العربية، خلال الفترات التاريخية التي عرفها تطور نظام السرد العربي. وتتمثل الدلالة الزمنية في الجانب الحديث والمعاصر، لدراسة المدونة السردية العربية. حيث تقتضي المنهجية في هذه الحال الوقوف، على المعيار الزمني الحديث فقط دون سواه من المعايير الزمنية الأخرى، بغرض دراسة الظاهرة السردية العربية، ضمن الإطار الزمني الحديث والمعاصر.

1– مفهوم السرد:

تقتضي الموضوعية لضبط مفهوم السرد، وتحديد دلالاته الاصطلاحية، العودة إلى المعاجم والقواميس اللغوية العربية، بهدف التعامل مع المفردة العربية كما وردت في النظام اللغوي العربي. وكذلك من أجل الوقوف على دلالات اللفظة، وفق منظورها الدلالي كما رسم لها مسارها التاريخي في اللغة العربية،

ووفق ما تم التواضع عليها من لدن العرب قديما وحديثا. وهذا تبعا لمقتضيات التحولات الدلالية والاصطلاحية التي حددت معانيها، وخصائصها الدلالية.

ورد في لسان العرب معنى "السرد" بأنه، «تقدمة شئ إلى شئ تأتي به منسقا بعضه في أثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له (...) وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه (...) وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه»[1]. وفي معجم العين وردت اللفظة ضمن مادة "سرد"، « سرد القراءة والحديث يسرده سردا، أي يتابع بعضه بعضا، والسرد جامع للدروع ونحوها من عمل الحلق. وسمي سردا لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بمسمار (بشكل متساو ودقيق)، فذلك الحلق المسرد»[2]، والمنسوج بانتظام وتتابع وترتيب. وهو ما يظهر فيما بعد صورة الدرع في شكله النهائي.

من خلال هذه التحديدات اللغوية للفظة، بحسب ما ورد في المعاجم العربية المعروفة، يمكن القول بأن السرد ظاهرة تقتضي نظاما دلاليا تتابعيا. كما أن تأسيساته الاصطلاحية تقتضي حتما هذه الدلالات. ومن الطبيعي كذلك أن يحمل المصطلح مخزونا ثقافيا ثريا، وقدرة على المطاوعة الدلالية. فالملاحظ أن استخدام المصطلح العربي واسع جدا، وشمل كل مجال فيه ترتيب ونسج وتتابع ونظام واتساق أيضا.

يكتسي مصطلح السرد من الناحية الاصطلاحية دلالات مختلفة، وهذا بحسب استخدامه ضمن سياقات لغوية معينة. فيكون بذلك سياق الاستخدام لوحده، المخول بضبط المعنى الفعلي الذي يمكن أن يعنيه مصطلح السرد.

فمن الناحية اللفظية يكون السرد،« النشاط السردي الذي يضطلع به الراوي وهو يروي حكايته، ويصوغ الخطاب الناقل لها»[3].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت/لبنان، المجلد الثالث، مادة سرد، ص:212

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي السامرائي، دار الهلال- القاهرة، د/ت، الجزء السابع، مادة سرد ، ص: 226

[3] محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار الفارابي، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص:246

ومن الناحية الخطابية يكون السرد، الطريقة الخاصة بتقديم الحكي. كما يمكن أن يتأسس السرد، على كل ما يتعلق بالجانب القصصي، من سرد أو خطاب أو حكاية[1].

2-مقومات السردية العربية:

من الناحية التراثية يمثل "السرد العربي" الملفوظ المنتظم، الذي يشمل سائر المتون الحكائية العربية، المتميزة بفعل القص، يكون فيها الراوي ذا موقع هام، في تقديم المادة الحكائية. وضمن موقع الراوي تنتظم مجموعة هامة من الأشكال السردية، مثل: الأسمار، الحكايات، الطرائف ، القصص، الأيام، السير، المغازي، النوادر، المقامات، السرد الصوفي، ..وغيرها من المنجزات السردية العربية القديمة. ويلاحظ أن هذه التسميات لا تحتوي على صفة الشمول، لاسيما فيما يتعلق بمصطلح السرد، إنما كانت تحددها منظورات معينة، الشئ الذي جعل مصطلح السرد بالنسبة إليها غير دقيق. علما بأن مصطلح السرد يرصد الظاهرة السردية في مجملها، ويحيط بسائر ملابسات هذه الظاهرة، وكل حيثياتها. ويكون« تبعا لذلك قادرا على جعلنا في إطار توظيفه التوظيف المناسب، لفهم الظاهرة بصورة أحسن وأوضح»[2].

تتفق الدراسات النقدية العربية الحديثة، على أن التراث السردي العربي مصدر معرفي وفني هام جدا، الشئ الذي يحتم العودة إليه والبحث في ثناياه بشكل دائم ومستمر. لأن هذا التراث شكل منذ عصر النهضة الأدبية الحديثة في العالم العربي، رافدا مهما للعديد من المفاهيم والرؤى المعرفية والفكرية، التي بوئته مكانته وقيمته الثقافية والحضارية. وجعلته المصدر الفعلي للسردية العربية، من لدن الكثير من الباحثين والمفكرين على حد سواء.

وعودة الباحثين إلى السرد العربي القديم، لاسيما من حيث تأصيل النصوص المعاصرة على اختلاف أنواعها، يؤكد المكانة الفعلية التي يتمتع بها التراث السردي العربي. والحفاظ على الكثير من الخصوصيات السردية المتقدمة، دليل واضح على هذه المكانة المميزة التي صارت عليها السردية العربية. الشئ الذي أكد وصول العديد، من النصوص السردية العربية، إلى مصاف العالمية،« وعلى

---

[1] ينظر في ذلك المرجع السابق، ص:246

[2] د/ سعيد يقطين: السرد العربي، مفاهيم وتجليات، دار رؤية للطباعة والنشر والتوزيع،-القاهرة، الطبعة الأولى، 2006، ص:67

درجة سامية من الإبداع الإنساني الرفيع»[1]، كنصوص ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، البخلاء، رسالة الغفران، المقامات،... ومن الخصوصيات الفنية لهذه النصوص، والتي جعلت منها نصوصا دائمة الحضور، يمكن ذكر الآتي:

–العناية بالمهمش: تمثل العناية بالمهمش خاصية فنية جوهرية، تميز الإنتاج السردي العربي القديم. حيث استطاع السرد القديم الانطلاق من صعوبات الحياة بمختلف سياقاتها لينتج دلالاته النصية. فمكن بذلك القارئ من الاطلاع على محليات المجتمع العربي، مفصلا بذلك في مختلف شؤونه اليومية، ومقدما الشخصيات السردية الفاعلة بدلالاتها الإنسانية. وهذا ما جعل السرد العربي القديم، يتميز بخصوصيات أكثر تحديدا، فظهرت سرديات البخلاء، وسرديات الفقراء، وسرديات الرحلة وتجاربها. كما ظهرت أنواع سردية أخرى، تروي أخبار الثائرين، وقصص العيارين، والمجانين،... وغيرها من الخطابات السردية الأخرى.

–السرد العجائبي: وجدت في السردية العربية نصوص سردية، اهتمت بقصص اللامعقول والخوارق، فتضمنت دلالات رمزية تضم الكثير من الأسرار والخبايا، وعلى درجة كبيرة من الغموض والالتباس. من ذلك نص رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، ألف ليلة وليلة، إلى جانب نصوص تضمنت خطابات الكرامة الصوفية. كما كان لصفة العجائبي أثرا كبيرا في النصوص السردية العربية الحديثة والمعاصرة، على نحو ما وجد لدى العديد من الروائيين العرب المعاصرين في المشرق والمغرب العربيين.

–السرد المحفز: يلاحظ أن السردية العربية القديمة خاصة، بنيت على محفزات خارجية، تلبية لرغبة متلقي الحكي، على نحو ما يوجد في كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حين طلب المهندس أبو الوفاء من أبي حيان التوحيدي، وصف مجالس أنس الوزير بن سعدان. ومن الممكن أن يبنى النص السردي القديم على محفزات داخلية، أي بطلب من متلقي النص، على نحو ما يوجد في نصوص ألف وليلة وليلة، حين يطلب الملك شهريار من الراوية شهرزاد، تقديم الحكي.

[1] المرجع السابق، ص:71

–نظام الإسناد: في السرد العربي القديم، عادة ما يسند الراوي فعل الحكي إلى طرف آخر خارجا عنه، للتخلص من تبعات الخبر. وغالبا ما يكون المسند إليه افتراضيا، محاولا بذلك جذب المتلقي وإيهامه بقيمة وأهمية الخبر. لهذا يلاحظ أن الحكي القديم، يستهل غالبا بعبارة "بلغني"، "يروى"، "يحكى"، "زعموا".

–السرد المتوالد: يلاحظ السرد التوالدي في الكثير من النصوص السردية العربية القديمة، كنصوص ألف ليلة وليلة، حيث يبدأ السرد بقصة أولى رئيسة، تمثل الحكاية الإطارية، ثم بعد ذلك يعمد الراوي لخلق حكاية أخرى ثانوية، ثم ما تلبث أن تتحول الحكاية الثانوية، إلى حكاية رئيسة، تنتج عنها حكايات ثانوية أخرى. فالحكاية الإطار تستوعب قصصا قصيرة ضمنها، لتشكل أطراف الحكي، ثم بعد ذلك تتناسل منها متواليات سردية أخرى. وقد تأثر الكتاب العرب المحدثون بهذه التقنية السردية، فوجدت بذلك روايات عربية حديثة، كان لها كبير الأثر في تنمية هذا النوع من السرد.

–الوصف والحوار: وهي ظاهرة فنية وتقنية ، قامت عليها السرديات العربية القديمة والحديثة. حيث عنيت السردية العربية كثيرا بالوصف والحوار، فوظفتهما بقوة، باعتبارهما من أسس ومقومات السرد العربي، كما أنهما ركيزتان لغويتان ودلاليتان.

3–في مفهوم الحداثة والمعاصرة:

في الحديث عن مفهومي الحداثة والمعاصرة، يحتم الموقف الدخول في إطار إشكالي، يتقاطع فيه الأدب العربي مع العديد من الفروع المعرفية الأخرى، كالفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم التربية،...وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى. وهي كلها تخصصات ذات صلة وثيقة بطبيعة المصطلحين المذكورين، وتقدم وجهات نظر بشأنهما. ويمكن تمييز رأيين في هذا الصدد:

–الرأي الأول: في هذا الرأي لا يميز أصحابه بين الحديث والمعاصر. حيث يبدو المصطلحان بدلالة معرفية واحدة، يشيران لمسمى زمني واحد، وهو تلك الفترة التاريخية التي دخلت فيها جيوش نابليون بونابرت مصر، من خلال شواطئ الإسكندرية سنة 1798م، إلى يومنا هذا. وهو الذي يسمى بالعصر الحديث، أو بداية النهضة العربية الحديثة.

–الرأي الثاني: يذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول، بأن مصطلح "الحداثة"، يبدأ من حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م،وينتهي بنكبة فلسطين سنة 1948م، مع قيام الكيان الإسرائيلي لأول مرة في الأراضي العربية. بعد النكبة يبدأ عصر أدبي جديد، واكب التحولات الجديدة، وهو ما مكن النصوص الأدبية العربية، خصائص فنية جديدة، مكنتها من دخول حيز زمني جديد، حمل مفهوم "المعاصرة".